

الأحداث التي تعرضت لها كنيسة الإسكندرية

من خلال كتاب يوسيبوس القيصري "تاريخ الكنيسة"

أميرة قاسم الحديني

يدور موضوع هذا البحث حول الأحداث التي تعرضت لها كنيسة الإسكندرية من خلال كتاب يوسيبوس القيصري (تاريخ الكنيسة)، وقد اعتمدت في هذا البحث على ما ورد عند يوسيبوس من وصف للاضطهاد الذي اتبعه الأباطرة الرومان ضد العقيدة المسيحية واتباعها في كل مكان في الإمبراطورية وبخاصة في مدينة الإسكندرية، وكيف تعرضت كنيستها للكثير من الاضطهاد بسبب تمسكها بتعاليم وقواعد عقيدتها.

وينقسم موضوع البحث إلى ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول: وتناولت فيه الحديث عن الأباطرة الذين تم في عهدهم الاضطهاد ضد العقيدة المسيحية؛ فقد شهدت المسيحية في عهد الإمبراطور سيفيروس الإسكندر (م - م) اضطهاداً شديداً ضد الكنائس، وراح العديد من الشهداء المسيحيين ضحية هذا الاضطهاد. هذا إلى جانب الإمبراطور دقيوس (م - م) والذي شهد له المؤرخون سواء المعاصرون له أم الذين جاءوا بعد ذلك وعلى رأسهم يوسيبوس أنه تم في عهده أشرس وأعنف اضطهاد شهدته العقيدة المسيحية في تاريخها. واستمر هذا الاضطهاد في عهد الإمبراطور فاليريانوس (م - م) والذي اتبع أسلوب وحشي في معاملة مسيحي الإسكندرية وبخاصة رجال الدين والكنيسة.

وكما تحدثت في المحور (العنصر) الأول عن الأباطرة واضطهادهم للمسيحية فإنني سوف أنتقل في **المحور الثاني** للحديث عن فئات المضطهدين في الإسكندرية وموقفهم من الاضطهاد، فالاضطهاد شمل كافة الفئات، فهو لم يفرق بين جنس أو جنسية حيث شمل الرجال والنساء، الشيوخ والشباب، ووصل حتى للأطفال في بعض الأحيان، كذلك لم يفرق في الجنسية بين مصري أم يوناني، وعانى من الاضطهاد والتعذيب كل الفئات على حد سواء من رجال الدين أو النساك ومن المواطنين العاديين، من أصحاب المراكز والأثرياء ومن الفقراء البسطاء، وكيف تحمل هؤلاء

على كافة المستويات هذا الاضطهاد بكل صبر وإيمان ولم يزددهم ذلك إلا تمسكاً بإيمانهم، حتى من كان يضعف منهم كان يستغفر قبل أن يموت.

وبعد الإشارة إلى فئات المضطهدين وموقفهم انتقل إلى المحور الثالث والآخر وهو يشير إلى الطرق والأدوات التي كان يستخدمها جنود الأباطرة في اضطهادهم ضد المسيحيين، فهم لم يتركوا وسيلة إلا واتبعوها في تعذيبهم للمسيحيين سواء بالنار أو بالجلد أو بالسيف، وحتى أنهم كانوا من شدة قسوتهم يخترعون طرقاً وآلات جديدة للتعذيب ليضغطوا بها عليهم (المسيحيين) يتخلوا عن إيمانهم، ويتركوا عقيدتهم ويتبعوا العقيدة الأساسية للإمبراطورية وهي الوثنية.

وقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على عمل يوسيبوس (تاريخ الكنيسة) "Historia Ecclesiastica". وقد انتفعت كذلك بالأراء التي وجدتها في العديد من المراجع الحديثة التي تحدثت عن بعض النقاط التي عالجها يوسيبوس في ذلك العمل؛ فقد ساعدتني هذه الأراء في توضيح بعض الجوانب التي تعرض لها يوسيبوس في عمله سواء اتفقت مع الأراء المذكورة أو اختلفت معها.

المقدمة:

شهدت العقيدة المسيحية فترة اضطهاد شديدة على يد الأباطرة الرومان في الفترة الأولى بعد ظهورها، فقد تتبع الأباطرة الرومان المسيحيين بالاضطهاد في جميع الأماكن التي انتشروا فيها، وذلك محاولة منهم للقضاء على هذا الدين الجديد، وعلى قوة أتباعه؛ الذين كانوا يمثلون خطراً على سياسة الإمبراطورية الرومانية – يبدو أن اضطهاد المسيحيين كان بمثابة الطريقة المنطقية بالنسبة للرومان لكي يتغلبوا على مشاكلهم حيث أنه كان جزءاً من السياسة الإمبراطورية للحفاظ على كيانها^(١)، وذلك من حيث أن أتباع هذا الدين الجديد، قد نظروا إلى العقيدة الوثنية على أنها شر، كما نظروا إلى أنفسهم على أنهم مخلصين للمجتمع من هذا الشر، كما سنرى بعد قليل، وهو أمر رأى المسئولون الرومان أنه يشكل خطر على الإمبراطورية – ومن هنا كانت بداية الاضطهاد ومن أشهر الأماكن التي تعرض فيها هذا الدين الجديد وأتباعه للاضطهاد هو مدينة الإسكندرية حيث كثر فيها الشهداء المسيحيون من كل الفئات

() وصف الاضطهاد هو مصطلح استخدمه المسيحيون لوصف الجهود التي تم بذلها لإبعادهم أو لإخمادهم عن عبادتهم. راجع:

Christopher S. Mackay: Ancient Rome (A military and Political History), Cambridge University Press, 2007, p. 287; Earle E. Coirns: Christianity Through the Centuries: A History of the Christian Church, Zondervan Publishing, 1996, p. 90.

سواء كانوا نساكاً (أي من رجال الكنيسة) أم مواطنين عاديين. رجالاً كانوا أم نساءً وقد تحدث العديد من المؤرخين في كتاباتهم عن هؤلاء النساك المسيحيين؛ فعلى سبيل المثال وردت الإشارة عند فيلون العبري⁽²⁾ "في حياة التأمل" ()
(أو في المتضرعين ") " عن النساك رجالاً ونساءً حيث يقول "إن هؤلاء الرجال كان يُدعون أطباء (شافيين) ()، وأن النساء تُدعيات (شافيات) أو طبيبات⁽³⁾ ()، وبعد ذلك أضاف أسباب التسمية مفسراً إياها من هذه الحقيقة، إنهم كانوا يعالجون ويشفون نفوس (أرواح) الذين كانوا يأتون إليهم، بإسعافهم كأطباء وإنقاذهم من الشهوات الفاسدة، (التي ربطوا بينها وبين الوثنية) أو أنهم كانوا يعبدون الله ويخدمونه بطهارة وإخلاص⁽⁴⁾ (ومن ثم لا يعبدون الإمبراطور الروماني).

"

"

وعن الأماكن التي يمكن أن يتواجد فيها هذا الجنس (المسيحيون ونساكهم) فإن فيلون يضيف الوصف التالي قائلاً:

"وفي كل مكان في العالم يوجد هذا الجنس"⁽⁵⁾

"

μ

μ

"

على أن هذا الجنس يكثر في مصر بنوع أخص في كل أقاليمها لاسيما (وخاصة) نواحي الإسكندرية"⁽⁶⁾.

"

μ

μ

μ

A

"

(2) Eusebius, H. E., II, 17.

(3) Ibid., II, 17.

() ويحمل الأصل اليوناني "أطباء وطبيبات" معنى العبادة (الخدمة) أو الطب (الشفاء) وسواء كان فيلون نفسه هو الذي أطلق عليهم هذا الاسم، مستعملاً لقباً يتفق مع طريقة حياتهم، أو أن أول شخص بينهم هو الذي أطلق عليهم هذا الاسم في البداية لأن الاسم "المسيحيين" لم يكن معروفاً في كل مكان.

، ص

Eusebius, II, 17؛ مرقس داود، تاريخ الكنيسة، مكتبة المحبة، ط

(5) Eusebius, II, 17.

(6) Ibid., II, 17.

ولكن لم تبق الحياة هادئة بالنسبة لهؤلاء. فقد وصلت أيدي الاضطهاد لجميع المواطنين في الإسكندرية؛ بعد أن شملت كافة الفئات نساءً ومواطنين عاديين حيث كثر فيها الشهداء، وانتشر جنود الأباطرة يعذبون المسيحيين في كل مكان وكان هذا التعذيب مصحوباً بالسلب والنهب، وكثرت كتابات المؤرخين حول هذه الفترة من الاضطهاد؛ ومن أشهر هذه الكتابات كتاب (تاريخ الكنيسة)^(١٠) الذي وضعه مؤرخ ديني عاش في الفترة من (م - م) هو يوسيبوس القيصرى^(١١) والذي يُعتبر من أقدم المؤرخين وأسبقهم في هذا المجال^(١٢).

اعتمد يوسيبوس في معلوماته التي حصل عليها على مكتبته التي قام بتجميعها من أعمال كل من الإسكندر أسقف أورشليم وأوريجينيس ومن السداسية^(١٣). ويعتبر عمل يوسيبوس (تاريخ الكنيسة) هو المصدر الوحيد الكامل عن تاريخ الكنيسة^(١٤).

كما اعتمد يوسيبوس في كتاباته^(١٥) الخاصة بتاريخ الكنيسة على كتابات السابقين له أمثال:

يوليوس أفريكانوس^(١٦) (Julius Africanus) وآخرين^(١٧) معاصرين له أمثال جوزيفوس، جستين، ديونيسيوس السكندري، وبفضل ذلك أخرج يوسيبوس عملاً منظماً لكل الأحداث والتواريخ التي حدثت في العالم سنة بسنة.

() وقد كان عمل يوسيبوس (تاريخ الكنيسة) (حجر الأساس) الذي اعتمد عليه المؤرخون اللاحقون في كتاباتهم عن تاريخ الكنيسة. راجع:

Flavius Josephus, The New Complete Works of Josephus, (Translation by) William Whiston, Kregel Publications, 1999, p. 9; Jonathan Harris: Byzantine History, Polgrave Macmillan, 2005, p. 10; Christopher S., op. cit., p. 369.

() Eusebius, Introduction, p. IX (VII, 26, 31; V, 28; III, 28; Eusebius, Introduction, p. IX) وقد عُرِف بأنه من أشهر المؤرخين الكنسيين حتى أنه يستحق لقب "أبو تاريخ الكنيسة" أخذ هيرودوت لقب "أبو التاريخ". راجع:

Earle Coirns, op. cit., p. 136; Flavius Josephus, op. cit., p. 10; Marcel Le Glay, A History of Rome, 3rd ed., Blackwell Publishing LTD, 2005, p. 548.

(9) Confield, Leon hardy, The Early Persecutions of the Christians, New York, Columbia University Press, 2005, p. 54.

(10) Eusebius, Intro., p. X; VI. 32.

(11) Ibid., op. cit., p. XIII.

() تأثر يوسيبوس في كتاباته بجانب السابقين له بالصراع الأريوسى في هذه الفترة والتي كانت مصدراً لإلا . راجع: Marcel Le Glay, op. cit., p. 496.

(13)Eusebius, Intro, p. XVII.

(14)Flavius Josephus, op. cit., p. 16.

م يوسيبوس في كتابته لهذا العمل (تاريخ الكنيسة) والمكون من عشر كتب^(١) بوصف "الشهداء المسيحيين" في عصره والصعاب التي قاسوها وتحملوها بكل صبر وإيمان. بالإضافة لعمل يوسيبوس (تاريخ الكنيـس) قام يوسيبوس بكتابة أعمال أخرى يمكن أن نقسمها إلى قسمين: ففي القسم الأول من حياته اهتم بكتابة أعمال يرد فيها على الكتاب الوثنيين الذين كانوا يكتبون ضد العقيدة المسيحية ومن أشهر هذه الأعمال كتابته:

(الرد على هركليس)، والعمل الثاني يتبع فيه نفس الطريقة فهو يرد فيه على أحد الكتاب الوثنيين وهو بورفيرى^(٢) (Porphyry)، هذا بالإضافة إلى أعمال أخرى كثيرة قام يوسيبوس بكتابتها في القسم الأول من حياته ويشير فيها إلى أن تعاليم المسيحية ليست جديدة ولكن الجديد هو الكنيسة، وانتشار نفوذها^(٣).

أما عن السنوات الأخيرة أو القسم الأخير من حياة يوسيبوس فقد قضاها في كتابة مقالين وهما:

"ضد ماركلوس"^(٤) أو "Contra Marcellum". والمقال الثاني بعنوان:

"De Ecclesiastic Thrologia"^(٥) وكلا المقالين نُشر بعد عام م. هذا بجانب أعمال أخرى كثيرة قام بكتابتها في القسم الأخير من حياته^(٦).

توفي يوسيبوس في مايو في عام م^(٧).

(١) وعن تقسيم كتاب (تاريخ الكنيسة) ليوسيبوس راجع:

Flavius Josephus, op. cit., p. 15.

(٢) بورفيرى هو كاتب وثني عاش في قيصرية، وكان يهاجم في كتاباته المسيحية وأتباعها. راجع: Eusebius, intro., p. XIV.

(٣) وعن الأعمال الأخرى التي قام يوسيبوس بكتابتها في القسم الأول من حياته. راجع:

Eusebius, op. cit., p. XVII, XVIII, XIX, XX, p. XV.

(18) Ibid., op. cit., p. XXVI.

(19) Ibid., op. cit., p. XXVI.

(٤) وعن الأعمال التي كتبها يوسيبوس في القسم الأخير من حياته. راجع:

Ibid., op. cit., p. XXVI; Flavius Josephus, op. cit., p. 12.

(٥) وقد أشار إلى ذلك التاريخ سقراط في عمله (تاريخ الكنيسة) من ضمن الأحداث التي حدثت في م؛ وبذلك فإنه من المحتمل أن وفاه يوسيبوس كانت في هذه الفترة. راجع:

Socrates, H. E., II. 4; Eusebius, intro., p. XIII.

- الأباطرة الذين تم في عهدهم الاضطهاد:

كان الأباطرة الرومان يمثلون الراعي الرئيسي للاضطهاد الذي شهدته العقيدة المسيحية واتباعها في أثناء الفترة الأولى بعد ظهورها، فقد اهتم هؤلاء الأباطرة باتباع المسيحيين واضطهادهم في جميع الأماكن التي انتشروا فيها، وحاولوا نشر عقيدتهم الجديدة من ذلك محاولة منهم (الأباطرة) للقضاء على هذا الدين الجديد وعلى قوة أتباعه الذين كانوا يمثلون - من وجهة نظر الأباطرة الرومان - خطراً⁽²²⁾ الإمبراطورية الرومانية.

كانت مدينة الإسكندرية من أشهر الأماكن التي تعرض فيها هذا الدين الجديد واتباعه للاضطهاد، فقد كانت مسرحاً لبحث العديد من الشهداء المسيحيين نتيجة للاضطهاد الذي مارسه الأباطرة الرومان ضدهم. ومن الأباطرة الذين شهد مسيحيي الإسكندرية في عهدهم الاضطهاد والتعذيب على أيدي جنودهم كان الإمبراطور سيفيروس الإسكندر، ودقيوس وغيرهم آخرون. وسوف أستعرض بعضاً من نماذج الاضطهاد الذي ذكره يوسيبوس في عهد هؤلاء الأباطرة.

أ- الإمبراطور سيفيروس الإسكندر (- م):

وأول الأباطرة الذين ذكرهم يوسيبوس في صدد هذا الاضطهاد هو الإمبراطور سيفيروس الإسكندر⁽²³⁾. ففي عهد هذا الإمبراطور انتشر الاضطهاد للدين الجديد واتباعه⁽²⁴⁾ في كل أرجاء الإمبراطورية وبصفة خاصة في الإسكندرية⁽²⁵⁾ وذلك عندما بدأ سيفيروس يضطهد الكنائس، وهنا نجد أبطال المسيحية يقدمون شهادات مجيدة فينالوا لقب أبطال الله، وينالوا الأكاليل من الله بصبرهم واحتمالهم التعذيب الشديد وكل أنواع الموت⁽²⁶⁾ ومن أشهر من راحوا ضحية هذا الاضطهاد الشرس الذي حدث في عهد الإمبراطور سيفيروس هو ليونيديس والد أوريجانوس، والذي وصل درجة اضطهاده وتعذيبه إلى قطع رأسه بينما ابنه لا يزال حديث السن⁽²⁷⁾.

(22) Marcel Le Glay, op. cit., p. 90; Christopher S. Mackay, op. cit., p.287.

(23) Eusebius, VI, 1.

() اهتم الإمبراطور سيفيروس الإسكندر بعبادة كل الآلهة، وبجانب ذلك عبادة الإسكندر الأكبر، وكان يتم عبادتهم في داخل القصر الإمبراطوري. راجع:

Marcel Le Glay, op. cit., p. 391; Michael Grant: The Roman Emperors (A biographical Guide to the Rulers of Imperial Rome (31 B. C.- AD 476), Phoenix Press, London, 1997, p. 134.

(25) Marcel Le Glay, op. cit., p. 395.

(26) Eusebius, VI, 1.

(27) Ibid., op. cit., VI, 1.

ب- الإمبراطور دقيوس (م -):

ويشير يوسيبوس في حديثه عن الاضطهاد إلى إمبراطور آخر وهو الإمبراطور دقيوس⁽²⁸⁾، فقد كان هذا الإمبراطور في موقفه ضد المسيحية على النقيض تماماً من الإمبراطور الذي سبقه وهو الإمبراطور فيليب العربي (م -) والذي وفقاً لما ورد عند يوسيبوس كان أول إمبراطور مسيحي⁽²⁹⁾ في روما فقد كان متسامحاً⁽³⁰⁾ المسيحيين، وهو ما رآه كذلك ديونيسوس المعاصر له والذي كان أسقف كنيسة الإسكندرية في ذلك الوقت، حيث قال إن الإمبراطور قدم كل ما في استطاعته لكي يمحو هذا الظلم وسوء المعاملة الذين كانا جزءاً من سياسة الأباطرة في ذلك الوقت⁽³¹⁾ أما عن الإمبراطور دقيوس فقد شهد له المؤرخون سواء المعاصرون له أم المحدثون أنه تم في عهده أشرس وأعنف اضطهاد شهدته العقيدة المسيحية⁽³²⁾ في تاريخها فقد شمل اضطهاده كل أتباع المسيحية⁽³³⁾، سواء كانوا من رؤسائها ودعاتها أم من المؤمنين بها. فقد كان دقيوس غاضباً من سياسة التسامح⁽³⁴⁾ التي اتبعها سلفه الإمبراطور فيليب ونظراً لهذا الغضب الشديد بدأ حملته في اضطهاد الكنائس⁽³⁵⁾ وعلى رأسها كنيسة الإسكندرية⁽³⁶⁾ ومن بين المؤرخين المعاصرين للإمبراطور دقيوس والذين كتبوا عن اضطهاده للمسيحية كان ديونيسوس⁽³⁷⁾ أسقف كنيسة

(28)Ibid., op. cit., VI, 39.

(29) Pat. Southern: The Roman Empire from Severus to Constantine, Routledge, London, 2001, p. 74; Flavius Josephus, op. cit., p. 225.

(30) Paul L. Maier: Eusebius, Eusebius Pamphill, Kregel Publications, 1999, p. 229.

(31) Michael Grant, op. cit., p. 74.

() اتبع الإمبراطور دقيوس اضطهاداً منظماً ضد المسيحيين على الرغم من أن مجتمعهم كان لا يزال صغيراً. ومن أبرز ملامح هذا الاضطهاد شهادات إثبات العقيدة الوثنية التي أمر الإمبراطور بحصول كل مواطن في الإمبراطورية عليها وبخاصة المسيحيين. راجع:

Sarah Lles Johnston: Religions of the Ancient World, Harvard University Press, London, 2004, p. 120; Pat Southern, op. cit., p. 74; Michael Grant, op. cit., pp. 157, 158.

(33) Robert Turcan, Antonina Nevill: The Cults of the Roman Empire, Blackwell Publishing, 1996, pp. 336, 337.

(34)Paul. L. Maier, op. cit., p. 248.

() بدأ دقيوس حملته في الاضطهاد ضد الكنائس فقام بعزل قادة الكنائس.

Pat Southern, op. cit., p. 75;

Michael Grant, op. cit., pp. 157, 158.

(36) Eusebius, op. cit., VI, 39.

() عُرِف اسم الإمبراطور دقيوس عند الكتاب المعاصرين والذين كتبوا فيما بعد على أنه الطاغية الكبير. راجع:

Pat Southern, op. cit., p. 75.

() وُلِدَ ديونيسوس في أواخر القرن م، وتتلذ على يد أوريغانوس ثم خلف هراكلاس في إدارة المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية حوالي سنة م، ثم خلفه في أسقفية الإسكندرية حوالي سنة=

الإسكندرية والذي كتب في رسالته إلى فابيوس أسقف أنطاكية – وهو ما نقله عنه يوسيبوس – عن الالام التي تكبدها الشهداء في الإسكندرية في عهد دقيوس حيث يقول: "لم يبدأ اضطهادنا بصدور الأمر الملكي، بل سبقه بسنة كاملة"^(١٠٠).

إن مخترع ومصدر الشرور في هذه المدينة، أياً كان قد سبق فحرض وهيج ضدنا جماعات الأممين، ونفت فيهم من جديد سموم خرافات بلادهم^(١٠١)، وإذ هيجهم بهذه الكيفية، ووجدوا الفرصة كاملة لارتكاب أى نوع من الشر، اعتبروا أن أقدس خدمة يقدمونها لشياطينهم هي أن يقتلونا. فقد كانوا على سبيل المثال يهجمون كلهم بنفس واحدة على بيوت الانقياء، ويخرجون منها كل من أرادوا، وينهبونهم، ويسلبونهم. ويأخذون لأنفسهم كل الأمتعة الثمينة، أما الأمتعة الرخيصة، والمصنوعة من الخشب فكانوا يبعثونها ويحرقونها في الشوارع، وبذا تبدو المدينة وكأن عدواً قد غزاها^(١٠٢). على أن الأخوة انسحبوا وغادروا المدينة قائلين سلب أموالهم كأولئك الذين شهد لهم القديس بولس ولست أعرف واحداً إلى الآن أنكر الرب، إلا إن كان أحد قد وقع بين أيديهم، وهذا أمر مشكوك فيه^(١٠٣).

ويستكمل ديونيسيوس استرساله في وصف الاضطهاد الذي تعرضت له الإسكندرية في عهد دقيوس قائلاً: "إنه عندما أذيع نبأ تولى دقيوس على عرش الإمبراطور فقد تملكنا خوف شديد"^(١٠٤)، مما هددنا به، لأن الأمر الملكي وصلنا، وكادت الحالة تماثل تلك الحالة المروعة التي سبق أن أنبأ بها الرب، التي تضل لو أمكن المختارين أيضاً^(١٠٥).

= م، والمرجح أنه استمر في إدارة المدرسة بعد ارتقائه للأسقفية وله أعمال كثيرة منها مؤلف "عن الطبيعة" وآخر عن "سفر الرؤيا" وهو من أقوى أعماله. راجع: مرقس داود، تاريخ الكنيسة، ص ١٠٠.

() صدر أمر دقيوس سنة (م)، ولذا فيكون الاضطهاد في الإسكندرية، بدأ سنة م. راجع: Pat Southern, op. cit., pp. 74, 75. () فقد أمر بالتضحية من جديد لتمثيل الآلهة والإمبراطور. راجع:

Eusebius, VI, 41; Pat Southern, op. cit., p. 74; Flavius Josephus, op. cit., p. 226. (41) Eusebius, VI, 41.

() Ibid., VI, 41 (عن) العهد الجديد، رسالة إلى العبرانيين، إصحاح ، آية . () وقد علق على هذا الاضطهاد الشديد أحد الكتاب المعاصرين وهو لاكتانتوس (Lactantius) حيث قال: "إن الله سوف يعاقب هؤلاء الذين يعذبون المسيحيون بأشد أداة من تلك الأدوات التي كانوا يعذبونهم بها. راجع:

Donald G. Kyle: Spectacles of Death in Ancient Rome, London and New York, 2001, p. 254; Lactantius, De Mortibus Persecutorum, 50, 7.

() Eusebius, VI, 41. (عن) العهد الجديد، انجيل متى، إصحاح ، آية .

والواقع ان الجميع انزعجوا، وتقدم^(١) في الحال الكثيرون من البارزين ممن اشتدت بهم حالة الخوف، وانجرف الآخرون بتيار واجباتهم الرسمية، إذ كانوا في الخدمة العامة^(٢). والآخرون دفعوا دفعاً بواسطة معارفهم. ولدى المنادة بأسمائهم اقتربوا من الذبائح الدنسة، واصفر وجه البعض، وارتعشت فرائصهم، كأنهم كانوا يساقون لا لكي يقدموا ذبائح للأوثان، بل لكي يقدموا هم أنفسهم ذبائح لها. لذلك هزأت بهم الجماهير التي كانت واقفة حولهم، لأنه كان واضحاً لكل واحد إنهم كانوا خائفين^(٣) من أن يقتلوا إن لم يذبحوا الأوثان^(٤).

على ان البعض تقدموا إلى مذابح الأوثان بكل جراءة، معلنين إنهم لم يكونوا قط مسيحيين. وعن هؤلاء تصدق نبوءة ربنا بأنهم يعسر خلاصهم^(٥) أما الباقون فالبعض تبعوا هذه الجماعة، والآخرون تبعوا جماعة أخرى، البعض هربوا والآخرون القى القبض عليهم^(٦) وبعض هؤلاء الآخريين ظلوا مؤمنين حتى القيود والسجون^(٧) والبعض جحدوا الإيمان قبل تقديمهم للمحاكمة، حتى بعد سجنهم أياماً كثيرة والآخرون تراجعوا بعد أن تحملوا التعذيب وقتاً ما أما أعمدة الرب الثابتون المباركون فإنهم إذ نالوا قوة وقدرة يتناسبان مع الإيمان القوى الذي تمسكوا به، أصبحوا شهوداً رائعين لملكوته^(٨).

- (١) أي لذبحوا للأصنام؛ Michael Grant, op. cit., p. 158.
- (٢) فقد كان كل موظف حكومي ملزماً بتقديم الذبائح للأصنام لدى قبول في وظيفته، وكذا في مناسبات أخرى معينة. وذلك وفقاً للقانون الذي أصدره الإمبراطور دقيوس بحصول كل مواطن على شهادة إثبات العقيدة (Libellus). Sarah Lles Johnston, op. cit., p. 120.
- (٣) بعض المسيحيون كانوا يطيعون الأوامر الإمبراطورية بدون أن يسببوا مشاكل. راجع: Pat Southern, op. cit., p. 74.
- (4) Marcel Le Glay, op. cit., p. 423.
- (٥) Eusebius, VI, 41 (عن) العهد الجديد، إنجيل متى، إصحاح ١٠، آية ١٠.
- (٦) Sarah Lles Johnston, op. cit., p. 120.
- (٧) ونلاحظ أن السبب في خوف الإمبراطور دقيوس من هؤلاء المسيحيين أنهم رغم العذاب الذي كانوا يتعرضون له فإنه في مقابل هذا الاضطهاد كانت أعدادهم تتزايد باستمرار. راجع: Earle E. Coirms, op. cit., p.91.
- (٨) Eusebius, VI, 41؛ ونتيجة للظلم الذي تعرض له المسيحيون في عهد دقيوس فقد انتشر الطاعون في الإمبراطورية، ودخل القوط في البلقان. راجع: Marcel Le Glay, op. cit., p. 419; Christopher S., Mackay, op. cit., pp. 289, 290.

وفي عهد هذا الإمبراطور^(٥٤) يحكى يوسيبوس في كتابه عما رواه ديونيسيوس أسقف الإسكندرية عن الاضطهاد^(٥٥) الذي حدث بوحشية في عهده^(٥٦) (ديونيسيوس)، والالام التي تحملها هو وغيره من أجل تقوى إله الكون وكان ذلك في رسالته التي رد فيها على جرمانوس الأسقف المعاصر له، حيث كتب فيها عن المعاناة التي عاناها هو ومن معه على يد أمليانوس والى مصر الذي تم على يديه الاضطهاد في الإسكندرية في عهد كل من الإمبراطور فاليريانوس^(٥٧)، وفي هذا الصدد يذكر ديونيسيوس قائلاً:

"إننى لم أذهب وحدى إلى أمليانوس، بل ذهب معى زميلى القس مكسيموس والشماسة فوستوس ويوسابيوس وكريمون، ... على أن أمليانوس لم يقل لى فى البداية: لا تعد اجتماعات، لأن هذا كان أمراً خارجاً عن حدود تفكيره، واخر ما يفكر فيه شخص يطلب إتمام الأمر لأنه لم يكن يبالي باجتماعاتنا، بل كان كل ما يهمله أن لا نكون مسيحيين. وقد أمرنى أن أكف عن أن أكون مسيحياً، ظناً منه بأننى إن تحولت عن المسيحية فسوف يتبعنى الآخرون^(٥٨)."

ولكن كان رد ديونيسيوس عليه رداً واحداً بأنه قال له "إننى ينبغي أن أطيع الله أكثر من المسيحية^(٥٩)"، وشهدت علانية بأننى أعبد الله الواحد ولا سواه، وأننى لن أتحول عن هذا، ولن أكف عن أن أكون مسيحياً، وعلى اثر ذلك أمرنا بالذهاب إلى قرية قرب الصحراء تُدعى سفرو^(٦٠) وهنا نجد أن الوالى فى أثناء محاكمته لديونيسيوس ومن معه قال لهم: "لقد ناقشناكم شفويماً عن الرافة التى أظهرها نحوكم حكامنا. لأنهم أعطوكم الفرصة^(٦١) كنتجوا بأنفسكم إن رجعتم إلى ما يتفق مع الطبيعة، وعبدتم الالهة التى تحرس إمبراطوريتها، وتركتم ما يخالف الطبيعة بماذا تجاوبون إذن؟ لأننى لا أظن أنكم تتكرون جميلهم نحو رافتهم بكم طالما كانوا يريدون أن يردوكم إلى طريق أفضل^(٦٢)."

() قام الإمبراطور فاليريانوس بحملة اضطهاد واسعة ضد الكنائس.

Paul L. Maier, op. cit., p. 292.

(54) Christopher S. Mackay, op. cit., p. 271.

(55) Robert Turcan, op. cit., pp. 336, 337; Pat Southern, op. cit., p. 79.

() Eusebius, VII, 11؛ مرقس داود، نفسه، ص .

(57) Michael Grant, op. cit., p. 158. Ibid., VII, 11.

() Ibid., VII, 11 (عن) العهد الجديد، سفر أعمال الرسل، إصحاح ، آية .

() Ibid., VII, 11 ويبدو أن سفرو كانت فى ليبيا، راجع: مرقس داود، نفسه، ص .

Flavius Josephus, op. cit., p. 234.

(60) Michael Grant, op. cit., p. 165.

(61) Eusebius, VII, 11.

وهنا نلاحظ طريقة الوالى فى عرض المساومة مع رجال الكنيسة لى ينجوا بانفسهم ويتركوا أتباعهم وإلا فإنهم سوف يتعرضون لأشد أنواع العذاب⁽⁶²⁾، وإن كان يمكن أن نسمى هذه الطريقة طريقة أخرى من أنواع التعذيب وهو التعذيب بالتهديد. ولكن كان رد ديونيسيوس عليه كالاتى: "إن كل البشر لا يعبدون كل الالهة، بل كل واحد يعبد مَنْ لذلك فإننا نكرمّ ونعبد الله الواحد بارئ الكل، الذى اعطى الإمبراطورية إلى

الجليل الشأن فاليريانوس وجالينوس المنعم عليهما من الله، ونحن نصلى إليه دواماً من أجل إمبراطوريتهما لى تبقى غير متزعزعة. وعندما أصر ديونيسيوس هو ومَنْ معه على موقفهم فإن أمليانوس قال لهم: 'أنا أرى أنكم ناكرو الجميل، وغير شاعرين برأفة حكمانا لذلك لن تبقوا فى هذه المدينة، بل سترسلون إلى أقاليم ليبيا، إلى مكان يدعى سفرو⁽⁶³⁾ لأننى اخترت هذا المكان كأمر حكمانا، ولن يُسمح لكم ولا لغيركم بأى حال من الاحوال بعقد اجتماعات، أو الدخول إلى مساكنكم. وإن رُوى أى واحد خارج المكان الذى أمرتم به، أو وُجد فى أى اجتماع عرّض نفسه للخطر لأننا سوف لا نتردد عن القصاص المناسب. فاذهبوا إلى حيث أمرتم.

ويبدو أن الغرض من ذلك المكان الذى وضعهم فيه أمليانوس بالقرب من الطريق العام فإنه لى يكونوا أول من يُلقى القبض عليهم بسهولة⁽⁶⁴⁾. وظل الوالى يقتل ويعذب كل من يقدم للمحاكمة، ولا يسمح لأحد بالاقتراب منهم، وختم ديونيسيوس حياته بالاستشهاد بقطع رأسه⁽⁶⁵⁾.

وفى النهاية نجد فى رسالة أخرى كتبها ديونيسيوس إلى هراكس أحد أساقفة مصر بعد أن عاد (ديونيسيوس) من منفاه إلى الإسكندرية وسوء أحوال المدينة نفسها وعدم اهتمام الأباطرة والولاة بهذا الوضع⁽⁶⁶⁾. حيث يذكر قائلاً: "إننى أريد أن أرسل بعض الرسائل لمن هم أخوة يعيشون فى بيت واحد، بنفس واحدة، وأبناء كنيسة واحدة، ولكننى لست أعرف كيف أرسل الرسائل. لأنه أيسر أن يعبر الإنسان لا حدود المملكة فحسب، حتى من الشرق إلى الغرب، عن أن يذهب من الإسكندرية إلى الإسكندرية نفسها، فقلب المدينة شائك جداً، واجتيازه أصعب من اجتياز الصحراء الواسعة المقفرة التى عبرها جيلان من بنى إسرائيل. أما موانئنا الهائلة فقد أصبحت كالبحر الذى انشق، وأصبحت له أسوار، وعبره إسرائيل، وابتلع فيه المصريون لأنها كثيراً ما بدت كالبحر الأحمر بسبب كثرة القتلى فيها. وأما النهر الذى يجرى بجوار المدينة، فكان يبدو أحياناً أجف

(62) Christopher, S. Mackay, op. cit., p. 290.

(63) Flavius Josephus, op. cit., p. 234.

(64) Flavius Josephus, op. cit., p. 234.

(65) Eusebius, VII, 11.

(66) Ibid., VII, 21.

من البرية^(٦٧) ... وكيف يمكن أن يتطهر الجو وقد تسمم بهذه الأنفاس النجسة؟ فالأبخرة تتصاعد من الأرض، والرياح من البحر، ... ومع ذلك، فالناس يتعجبون، ولا يستطيعون أن يدركوا من أين هذه الأوبئة المستمرة والأمراض الشديدة، والأسقام القاتلة من كل نوع، لماذا لم يعد بهذه المدينة مثل تلك الكثرة من السكان من الأطفال الرضع إلى المتقدمين في السن، كما كانت تضم من قبل من بين أولئك الذين كانت تدعوهم شيوخاً أقوياء فالرجال من سن الأربعين إلى السبعين كانوا وقتئذ أكثر عدداً جداً، حتى أصبح عددهم الآن لا يوازي السكان من سن الأربعة عشر إلى الثمانين، عند عمل الإحصائية من أجل مؤونة الطعام العامة^(٦٨).

وأصبح شكل الأصغر كأنه مساوٍ في العمر لمن كانوا سابقاً أكبر، ورغم أنهم يرون الجنس البشري في تناقص مستمر، ورغم أن حالات الإفناء العامة في تزايد، فإنهم (يقصد الأباطرة والولاة) لا يرتعبون ولا يقشعرون^(٦٩).

- فئات المضطهدين في الإسكندرية وموقفهم من الاضطهاد:

لم يحدد الاضطهاد الذي قام به الأباطرة الرومان تجاه العقيدة المسيحية وأتباعها في الإسكندرية فئة معينة، أو شريحة معينة بل ذكر يوسيبوس أنه كان اضطهاداً شاملاً للصغير والكبير، لرجال الدين (النسك) والمواطنين العاديين من المسيحيين حتى أنه لم يفرق بين المرأة والرجل، بين الشاب والشيخ، لدرجة أنه وصل للأطفال في بعض الأحيان. بالإضافة إلى ذلك نجد أن هذا الاضطهاد لم يفرق فيه الأباطرة بين جنسية وأخرى؛ فقد شمل كل من المصريين واليونانيين على حد سواء^(٧٠). وهو ما ورد ذكره من خلال كتابات يوسيبوس عن الاضطهاد الذي تعرض له مسيحيو مدينة الإسكندرية وعلى هذا الأساس فإنني يمكن أن أقسم فئات المضطهدين في الإسكندرية إلى شقين:

(67) Flavius Josephus, op. cit., p. 239; Ibid., VII, 21.

Flavius Josephus, op. cit., p. 239.

() Ibid., VII, 21؛ راجع أيضاً

() Ibid., VII, 21؛ وفي مقابل كل الآلام والمعاناة التي عاشها المسيحيون في كل مكان، نجد أن الإمبراطورية تعرضت في هذه الفترة للهجوم من أعدائها من الشرق والغرب، وقد فسر المسيحيون سوء الحظ الذي أصاب الإمبراطورية الرومانية في هذه الفترة على أنه عقاب من الله.

راجع: Robert Turcan, op. cit., p. 337; Christopher S. Mackay, op. cit., p. 270.

() ويشير يوسيبوس إلى كثرة أعداد الشهداء المسيحيين الذين راحوا ضحية الاضطهاد فيقول: 'إن السجون أصبحت مزدحمة للغاية بالقادة المسيحيين وأتباعهم، حتى أنه لم يصبح هناك غرفة واحدة فارغة للمجرمين'. راجع:

Earle E. Coirns, op. cit., p. 92; Eusebius, II, 17.

- فئة النساك أو رجال الدين – وفئة المواطنين أو الاتباع المسيحيون. وسوف أبدأ بالحديث عن الشق الأول أو الفئة الأولى من المضطهدين (وذلك على ب ما ورد عند يوسيبوس في كتاباته) وهي:

أ- فئة النساك أو رجال الدين:

قدم رجال الدين أو (النساك) مواقف صامدة تصدوا من خلالها لحملة الاضطهاد التي قادها الأباطرة الرومان ضد العقيدة المسيحية⁽⁷¹⁾ في كل مكان؛ وبصفة خاصة في الإسكندرية التي كانت تمثل مسرحاً لاستشهاد العديد من الأبطال المسيحيين أمام التعذيب الشديد الذي كانوا يتحملونه في سبيل تمسكهم بعقيدتهم. ومن أمثلة هؤلاء بانناينوس وليونيديس وديونيسوس وغيرهم كثيرين من رجال الدين (الكنيسة) الإسكندرية.

- أما عن بانناينوس⁽⁷²⁾ فهو شخص بارز جداً في مدرسة الإسكندرية بسبب علم وإدارته لمدرسة المؤمنين⁽⁷³⁾ في الإسكندرية. إذ كانت قد أنشئت بها منذ الأزمنة القديمة مدرسة للتعاليم المقدسة، ولا زالت حتى يومنا هذا. وقد أظهر بانناينوس غيرة شديدة نحو الكلمة الإلهية حتى أنه عين سفراً لإنجيل المسيح للأمم التي في الشرق⁽⁷⁴⁾. وبعد أعمال مجيدة كثيرة رأس بانناينوس مدرسة الإسكندرية، وفسر التعاليم الإلهية شفويًا وكتابةً.

- كذلك من أشهر رجال الدين الذين راحوا ضحية رسالتهم في الدعوة للعقيدة المسيحية هو:

(71) Flavius Josephus, op. cit., p. 9.

() وهو أول مدرس عرف لمدرسة الإسكندرية، وكان من بين تلاميذه كلمنت السكندري، والإسكندر أسقف أورشليم. Eusebius, V, 10 مرقس داود، نفسه، ص منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، ص .

() ويبدو أنها أنشئت أصلاً لتعليم الموعوظين، أي الراغبين في الدخول إلى الإيمان، ثم اتسعت. وقد لعبت هذه المدرسة دوراً هاماً في التاريخ الكنسي، وكانت تسمى Catechetical school أى (تعليم قواعد الإيمان بالسؤال والجواب)، وكانت هذه المدرسة تحت إدارة كلمنت وأوريجينيس وهراكلاس وديونيسوس.... إلخ حتى القرن م. راجع: منسى يوحنا، نفسه، ص ؛ داود مرقس، نفسه، ص .

(74) Eusebius, V, 10.

ليونيديس^(٧٥) () المدعو "أبا أوريجينيس" والذي قطعت رأسه بينما كان ابنه لايزال حديث السن، حيث إنه تم القبض عليه عام ٣٠٤م بواسطة جنود الإمبراطور سيفيروس في أثناء الاضطهاد الذي كان ضد المسيحية في عهد هذا الإمبراطور، وتعرض للعديد من ألوان التعذيب الشديد حتى انتهت حياته بقطع رأسه عام ٣٠٤م وتبعاً لقوانين الاضطهاد حينئذ ضُمت أملاكه إلى الحكومة فباتت أرملته وأولاده في فقر مدقع^(٧٦).

* ديونيسيوس أسقف كنيسة الإسكندرية:

كان ديونيسيوس من أشهر رجال الدين في الإسكندرية الذين قدموا أروع الأمثلة على احتمال التعذيب ويشير يوسيبوس في كتابه "تاريخ الكنيسة" عن الحوادث التي حلت بديونيسيوس نتيجة للاضطهاد الذي تعرض له مثل سابقه من قبيل الأباطرة الرومان حيث يقول إنه سوف يقتبس من رسالة ديونيسيوس إلى جرمانوس^(٧٧) وصف ما حل بالأول فهو كتب ما يلي متحدثاً عن نفسه وعن الاضطهاد الذي تعرض له في عهد الإمبراطور دقيوس فيقول: "أتكلم أمام الله، وهو سيعلم إذا كنت أكذب، أنني لم أهرب بدافع من نفسي، أو بدون إرشاد إلهي^(٧٨) وحتى قبل هذا، في نفس الساعة التي بدأ فيها الاضطهاد، أرسل سابينوس جندياً للبحث عني، ولبثت في البيت أربعة أيام منتظراً قدومه؛ ولكنه تجول باحثاً في كل مكان — في الطرق والأنهار والحقول — حيث ظن أنني مختبئ فيها، أو في الطريق إليها، فطمست بصيرته ولم يجد البيت (بمعنى أنه لم يفكر في الذهاب للبيت) لأنه لم يخطر بباله أن أبقى في البيت الذي يجري فيه البحث (وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على جرأته الشديدة وقوة إيمانه وعدم خوفه من القبض عليه والتعذيب).

ويستكمل ديونيسيوس رواية قصته فيقول "بعد اليوم الرابع أمرني الله بمغادرة البيت فارتحلت أنا وأتباعي^(٧٩)، وبعد ذلك يروى ما حدث له بعد هروبه فيقول، ونحو غروب الشمس ألقى القبض على من كانوا معي، وأخذني العسكر وجرونا بعنف^(٨٠)

(75) Ibid., VI, 1.

() منسى يوحنا، نفسه، ص .
() وهو كان أسقفاً لأبرشية غير معلومة، وقد اتهم ديونيسيوس بالجبن في وجه الاضطهاد.
راجع: Eusebius, VII, 11؛ مرقس داود، نفسه، ص 255. Flavius Josephus, op. cit.,

(78) Ibid., VI, 40.

() ربما كانوا من أبنائه أو تلاميذه أو عبيده (2) Eusebius, VI, 40, n.

(80) Ibid., VII, 11.

إلى تابوسيريس^(١). ولكن العناية الإلهية رتبت أن لا يكون تيموثاوس حاضراً — ويبدو أنه كان من أحد أتباعه — وأن لا يلقي القبض عليه. وإذ أتى فيما بعد وجد البيت مهجوراً يحرسه العسكر وأنا قد أسرنا.

وبعد ذلك بقليل يقول: 'وماذا كان التدبير العجيب الذي دبره؟ لأنه ينبغي ذكر الحق. لقد قابل أحد أفراد الشعب تيموثاوس هارباً ومنزعجاً، وسأل عن سبب استعجاله، فأجابه بالحق كاملاً^(٢).

ولما سمع الرجل بالأمر (وكان في طريقه إلى وليمة عرس، لأن العادة جرت أن يصرف الليل كله في اجتماعات كهذه) دخل وقص الرواية على مَنْ كانوا على المائدة، أما هم فقاموا كلهم بالإجماع — كأنهم قد أعطيت لهم إشارة بتدبير سابق — واندفعوا إلى الخارج بسرعة، وهجموا علينا بصراخ شديد.

وللحال هرب العسكر الذين كانوا يحرسوننا، أما هم فأتوا إلينا، وكنا مضطجعين على الأرائك عارية.

أما ديونيسوس فقد كان جالساً بثوب كتاني حيث ظنهم لصوصاً في بادئ الأمر أتوا للسلب والنهب، لذلك بقي كما هو على السرير وقدم لهم باقى ملابسه، لكنهم أشاروا له بالقيام وإتباعهم بسرعة.

وهنا أدرك ديونيسوس سبب مجيئهم فصرخ ورجالهم أن يذهبوا ويتركوهم وحدهم حيث قال 'وطلبت إليهم أن يقطعوا رأسي هم أنفسهم، إن سمحوا بتقديم أية خدمة لي، قبل أن يقطع رأسي أولئك الذين ألقوا القبض علي، وعندما صرخت بهذه الكيفية، كما يعلم زملائي رفعوني بالقوة فطرحت نفسي على ظهري إلى الأرض وعندئذ أمسكوا بيدي ورجلي وجروني. أما شهود كل هذا فهم جايوس وفوستوس وبطرس وبولس^(٣). غير أن الذين أمسكوني حملوني خارج القرية بسرعة، واضعين إياي على حمار بدون سرج وأخرجوني بعيداً^(٤).

() وهي مدينة صغيرة بالقرب من الشاطئ بحوالى () إلى الجنوب الغربي من الإسكندرية. Ibid., VI, 40 n. (3).

(82) Ibid., VI, 40.

() وهم كانوا زملاء ديونيسوس في اضطهاد دقيوس فقد لازمه كل من جايوس وبطرس في البرية Eusebius, VI, 40; VII, 11..

() قامت هذه الجماعة التي أنقذته بنقله إلى صحراء ليبيا حيث بقي هناك مع زميلين له وهما جايوس وبطرس حتى انتهى الاضطهاد. راجع: Eusebius, VII, 11.

كان هذا ما رواه يوسيبوس على لسان ديونيسيوس عن الاضطهاد الذي تعرض له.

* وهناك مثال اخر يرويهِ يوسيبوس عن احد الاشخاص البارزين في الإسكندرية والذي خلف يوسيبوس وهو أناطول⁽⁸⁶⁾ والذي كان سكندري المولد، وأقدر علماء عصره في الفلسفة اليونانية⁽⁸⁷⁾، وغيرها من العلوم الأخرى ولهذا السبب طلب منه أهالي الإسكندرية أن يؤسس مدرسة بها تدريس افسلفة أرسطوطاليس. وقد قام بأعمال جليلة في أثناء حصار حي البروخيوم بالإسكندرية في أثناء الاضطهاد الذي تعرضت له الإسكندرية حيث يقال أن الخبز قد نفذ من المحاصرين حتى أصبح احتمال العدو من الخارج أيسر من احتمال المجاعة، ولكن أناطول استطاع أن يمدِّهم بالخبز وذلك بالطريقة التالية، لما كان الجزء الأخير من المدينة متحالفاً مع الجيش الروماني وبالتالي لم يكن تحت الحصار، فقد أرسل أناطول إلى يوسيبوس⁽⁸⁸⁾ وأعلمه بمن كانوا يهلكون في الحصار بسبب المجاعة (وكان يوسيبوس ذو سمعة طيبة عند القائد الروماني) واستطاع يوسيبوس أن يوصل الأمر لمجلس الأعيان بالإسكندرية واقترح عقد صلح مع الرومانيين واقترح عليهم أيضاً أن يُخرجوا من المدينة الأشخاص الذين يصبح تسميتهم 'كمالة عدد' والذين ليس من ورائهم أي نفع كالنساء المتقدمات في السن والأطفال والشيوخ قائلًا: لماذا نبقي بلا مبرر أولئك الذين لا بد أن يموتوا سريعاً؟ ولماذا نهلك بالجوع العجزة والمشوهى الأجساد في الوقت الذي يجب أن نوفر الطعام للشباب والرجال فافتتح المجلس وتركوا النساء والشيوخ والأطفال وبذلك أنقذهم من الموت جوعاً. وقد رتب أن الذين ينتمون إلى الكنيسة يجب أن ينجوا أولاً⁽⁸⁹⁾.

* بطرس أسقف الإسكندرية:

ومن بين الشهداء من رجال الدين (الكنيسة) الذين ذكرهم يوسيبوس يقول: 'كان من بين الذين قتلوا بحالة مجيدة في الإسكندرية بطرس أسقف الإسكندرية'⁽⁹⁰⁾، وهو من أبرز معلمى ديانة المسب .

كان هذا عن الشق الأول من فئات المضطهدين في الإسكندرية، وسوف انتقل الآن للحديث عن الشق الثاني وهو:

() برز بعلمه ورجاحة عقله في الإسكندرية، وبعد انتهاء حصار الإسكندرية تركها وأصبح مساعد أسقف في قيصرية. Eusebius, VII, 32.

(86) Flavius Josephus, op. cit., p. 253.

(87) Eusebius, VII, 32.

(88) Ibid., VII, 32.

(89) Ibid., VII, 32; VIII, 13.

ب- فئة المواطنين أو الاتباع المسيحيين:

شملت أيدى التعذيب والاضطهاد الذي كان يمارسه الاباطرة الرومان ضد اتباع العقيدة المسيحية كل فئات المواطنين في جميع أنحاء الإمبراطورية^(٦٠)، وبوجه خاص في الإسكندرية. فنجد أن جنود الاباطرة لم يفرقوا بين رجل وامرأة أو شاب ومسن أو فتاة صغيرة حتى أنهم كانوا يقبضون على الأطفال في بعض الأحيان، كذلك شمل الاضطهاد كل من اليونانيين والمصريين على حد سواء.

وهنا يقدم يوسيبوس في كتابه أمثلة عديدة ومتنوعة على كافة الفئات التي تعرضت للتعذيب بسبب تمسكهم بعقيدتهم^(٦١)، ويقدم ذلك من خلال ما ورد في كتابات أحد المعاصرين له وهو ديونيسيوس أسقف كنيسة الإسكندرية، فقد وردت عنده إشارات عن العنف^(٦٢) الذي تعرض له المسيحيون في الإسكندرية في عهد الإمبراطور دقيوس وقدم أمثلة على هذه الحوادث سواء من الشيوخ أو النساء المتزوجات أو العذارى (وهم كن نساء متقدمات في السن حفظن على عفافهن)، أو الجنود وحتى الأطفال^(٦٣).

وعلى سبيل المثال يتحدث ديونيسيوس عن رجل متقدم في السن اسمه متراس^(٦٤) أمره أن ينطق بكلمات كفرية. ولكنه أبى أن يطيعهم، فضربوه وعذبوه، وجروه خارج المدينة.

(٦٠) وهناك مدن أخرى كثيرة تعرضت للاضطهاد ورد ذكرها عند يوسيبوس راجع:

Eusebius, VII, 113; Robert Turcan, op. cit., p. 337.

(٦١) وهناك قلة قليلة من المسيحيين لم يتحملوا التعذيب فاضطروا لطاعة الأوامر الإمبراطورية بدون أن يتسببوا في مشاكل. راجع:

Pat Southern: The Roman Empire from Severus to Constantine, Routledge, 2001, p. 74; Marcel Le Glay, op. cit., p. 423.

(٦٢) ورد في إحدى خطابات ديونيسيوس السكندري لدوميتيوس (Domitius) وديديموس (Didymus) عن الأحداث العنيفة التي تعرض لها المواطنون في أثناء الاضطهاد في الإسكندرية فقال: "إنه يريدون أن يعرفوا فقط أن الرجال والنساء، الأطفال والبطارقة، الفتيات والنساء العجائز، الجنود والمواطنين، كل جنس وكل عُمر البعض كان يعاني من التعذيب بالنار وآخرون بالسيف وكلهم جاهدوا واستشهدوا. راجع: Flavius Josephus, op. cit., p. 234.

(٦٣) Eusebius, II, 17؛ ويشير يوسيبوس إلى أن المسيحيين ضربوا أروع الأمثلة في الثبات أمام الاضطهاد والتعذيب والاستشهاد في سبيل عقيدتهم حتى أن دمائهم أصبحت بُذور لنمو الكنيسة" أشار ترتليانوس إلى ذلك. راجع: Flavius Josephus, op. cit., p. 9.

(٦٤) Eusebius, VI, 41.

كذلك هناك مثال آخر عن امرأة مؤمنة اسمها كوينتا^(٩٥) حملها الجنود إلى هيكل صنمهم لعلهم يجبرونها على عبادته ولما استقبحت الأمر قاموا بتعذيبها حتى ماتت.

ومثال ثالث عن عذراء تُدعى أبولونيا^(٩٦)، وهي سيدة متقدمة في السن قام الجنود بالقبض عليها وتعذيبها حتى الموت علها ترجع عن إيمانها.

وكذلك هناك جندي مصري يُدعى بيساس^(٩٧)، عندما اعترض على طريقة التعذيب التي كان يتعرض لها المسيحيون صاح الجنود في وجهه، وحوكم هذا الجندي وقُطعت رأسه بعد أن وقف موقفاً نبيلاً في النضال من أجل التقوى.

وهناك نموذجاً آخر يوضح ديونيسيوس من خلاله كيف أن التعذيب شمل كافة المواطنين يونانيين أو مصريين، ووصل إلى الأطفال فيقول: 'وقد أسلم المصريون هيرون (Heron)، وأتر (Atr)، وايزيدوروس (Isidorus)، ومعهم ديوسقوروس (Dioscorus) وهو صبي^(٩٨) عمره نحو خمس عشرة سنة. حاول القاضي في البداية أن يضلل الصبي بكلمات معسولة كأنه كان من الميسور التأثير عليه بسهولة، ثم يضغط عليه بالتعذيب ظاناً أنه من الميسور أن يستسلم بسهولة. ولكن ديوسقوروس الصبي لم يقتنع ولم يستسلم" وإن لبث الباقيون (يقصد من تم القبض عليهم مع الصبي) ثابتين قام بجلدهم بوحشية، ثم أسلمهم للنيران، ولما أعجب بالطريقة التي أبرز بها ديوسقوروس نفسه جهاراً، وبأجوبته الحكيمة تلقاء الإغراءات التي قدمت له، طرده قائلاً إنه سيعطيه فرصة للتوبة نظراً لحدائثه سنة، ولا يزال ديوسقوروس التقى هذا بيننا الآن، في انتظار اضطهاد أطول وتعذيب أشد^(٩٩). وهنا نستنتج من ذلك أن أتباع العقيدة المسيحية لم يكونوا ضعاف في إيمانهم، وهو ما لم يستطع الأباطرة ولا جنودهم منعه أو التصدي له حيث كان إيمانهم أقوى من تعذيب الأباطرة^(١٠٠).

(95) Ibid., VI, 41.

(96) Ibid., VI, 41.

(97) Ibid., VI, 41.

(98) Ibid., VI, 41.

(99) Ibid., VI, 41.

(١٠٠) كان الأباطرة يعتبرون المسيحيون الذين يرفضون الاعتراف بالالهة الوثنية أعداء للدولة، ومدننين بكل الجرائم، وأعداء للالهة، والأباطرة، والقوانين والأخلاق الحميدة، وحتى أعداء للطبيعة. راجع:

Confield, Lean Hardy: The Early Persecutions of The Christians, Columbia University Press, New York, 2005, p. 24.

وهناك مثال على ذلك قدمه يوسيبوس على لسان ديونيسوس يقول فيه: "واتهم شخص آخر اسمه نمسيون^(١٠١) وهو مصري أيضاً، بأنه ينتمي لعصابة لصوص. ولما برأ نفسه أمام قائد المئة من هذه التهمة البعيدة عن الحق كل البعد، وشى بأنه مسيحي، وأخذ في القيود أمام الوالي أما ذلك الوالي الظالم فقد حكم عليه بتعذيبات وجلدات ضعف ما كان يحكم به على اللصوص ثم أحرقه بين لصين، وكان وفقاً أمام جماعة من الجند هم أمون وزينون وبظلميوس ومعهم رجل متقدم في السن اسمه ثيوفيلوس، وإذ ظهر أن شخصاً معيناً يحاكم كمسيحي كان على وشك إنكار الإيمان، أصروا على أسنانهم، وأشاروا بوجوههم، ومدوا أيديهم، وحركوا أجسادهم، وعندما اتجهت أنظار الجميع إليهم، وقبل أن يلقى أي واحد الأيدي عليهم، اندفعوا نحو المحكمة قائلين أنهم مسيحيون، انزعج الوالي هو ومجلسه فازدادت شجاعة الذين كانوا يحاكمون، ولم يرهبوا الالام، أما قضائهم فارتعدت فرائصهم وهكذا خرجوا من المحاكمة فرحين بشهادتهم^(١٠٢).

وأخيراً يقدم يوسيبوس مثالا (نموذجاً) يوضح من خلاله أن الاضطهاد لم يفرق حتى بين الأغنياء أصحاب المراكز وبين الفقراء فيقول: "إن الذي يدعو إلى الدهشة أولئك الأشخاص الذين يمتازون بسبب ثروتهم أو مراكزهم أو علمهم أو فلسفتهم، ومن بين هؤلاء فيلوروموس (μ) الذي كان يشغل مركزاً ممتازاً في الحكومة الإمبراطورية بالإسكندرية^(١٠٣)، والذي كان يُجرى العدل كل يوم. وكان يحف به حرس حربي كما يليق بمقامه ومركزه الروماني الرفيع وكذا فيلياس أسقف كنيسة ثمويتيس^(١٠٤) وهو رجل اشتهر بمحبته لوطنه، وعلومه الفلسفية. ورغم أن الكثيرين من أقارب هذين الشخصين وأصدقائهما، والكثير من ذوى المناصب الرفيعة، بل والقاضى نفسه، رجوهما بالباح أن يشفقوا على نفسيهما ويرحما أولادهما وزوجتيهما إلا أنهما لم تؤثر فيهما كل هذه التوسلات ليختارا الحياة ويحتقرا إيمانهما. ولكنهما ثبتا أمام تهديدات وإهانات القاضى، بكل بسالة وعزم، وأخيراً قطعت رأس كل

(101) Eusebius, VI, 41.

(102) Ibid., VI, 41.

(103) Flavius Josephus, op. cit., p. 267; Ibid., VIII, 9.

() ويقال أنه كان وزير المالية في مصر. مرقس داود، نفسه، ص .

() وقد كانت ثمويتيس (Thmuis) مدينة مشهورة في الوجه البحرى، أما فيلياس فكان من أقدر

رجال الكنا . راجع: Flavius Josephus, op. cit., pp. 267, 268.

وفي النهاية فإن يوسيبوس يوضح من خلال ما قدمه من أمثلة ونماذج عن الاستشهاد والبسالة التي قدمها المسيحيون بسبب تمسكهم بإيمانهم ضد اضطهاد الأباطرة، أن كل هذه الأحداث المأساوية التي تعرضت لها المسيحية تحولت في النهاية إلى نصر لها⁽¹⁰⁶⁾.

- طرق وأدوات التعذيب:

لم يترك جنود الأباطرة الرومان وسيلة من الوسائل المتبعة في التعذيب إلا واستخدموها في اضطهادهم للمسيحيين وهنا نجدهم لم يكتفوا بالطرق التقليدية في التعذيب ولكنهم تفننوا في اختراع طرق أخرى أشد قسوة ووحشية⁽¹⁰⁷⁾ ليستخدمونها في الضغط على هؤلاء المسيحيين⁽¹⁰⁸⁾، حتى يرجعوا عن عقيدتهم، ولم يفرقوا في استخدامهم لهذه الطرق بين رجل وامرأة أو صغير وكبير، كما كانوا يستخدمون أدوات حادة قاتلة في تعذيبهم⁽¹⁰⁹⁾.

وفي مقابل كل هذا التعذيب قدم المسيحيون حسبما يذكر يوسيبوس مواقف شريفة من الصلابة أمام جنود الأباطرة الرومان في سبيل حفاظهم على عقيدتهم حتى من كان يضعف منهم فسرعان ما كان يرتد إلى صوابه مرة أخرى ويطلب الاستغفار قبل أن يموت. وفي هذا الصدد يقدم يوسيبوس أمثلة كثيرة ومتنوعة على الآلام التي تعرض لها الشهداء في الإسكندرية في عهد الإمبراطور دقيوس، وذلك من خلال أحد المعاصرين له وهو ديونيسيوس.

وأول هذه الأمثلة هو مثال قدمه على رجل متقدم في السن اسمه متراس⁽¹¹⁰⁾ عندما ألقى جنود الإمبراطور القبض عليه، وأجبروه على أن يعترف بالهتهم ويرتد عن

(106) Flavius Josephus, op. cit., p. 10; Jonathan Harris, Byzantine History, Polgroave Macmillan, 2005, p. 143.

() وهناك أمثلة كثيرة على التعذيب الذي تعرض له المسيحيون في جميع أنحاء الإمبراطورية

غير الإسكندرية. راجع: Eusebius, VIII, 6; Donald G. Kyle, op. cit., p. 252;

() كانت حلبات المصارعة كساحات للقتل يتم تعذيب المسيحيين فيها بكافة الطرق ثم إلقائهم

للوحوش أمام المتفرجين من عامة الناس. راجع: Donald G. Kyle, op. cit., p. 14.

() وقد وصلت درجة التعذيب بالمسيحيين بأن الوالي كان يقوم بتجميعهم من منازلهم ويعتقلهم ثم

يقوم بسجنهم في ساحة وكان يقوم المشاهدين بعضتهم بأسنانهم وهنا يقصد بهم الناس أكلى لحوم

البشر وهنا يشير الكاتب بأن هذه الفئة من الناس كانت تتصرف بعنف وكرهية شديدين وهم

كانوا مكروهين في المجتمع. راجع:

Plass, P.: The Game of Death in Ancient Rome: Arena Sport and Political Suicide, University of Wisconsin, Madison, 1995, p. 144.

(110) Eusebius, VI, 41.

عقيدته، ورفض الامتثال لأوامرهم اتبعوا معه أشد طرق التعذيب حيث ضربوه بالهراوات، ومزقوا وجهه وعينيه بعضا حادة، وجروه خارج المدينة ورجموه.

كذلك هناك مثال آخر على امرأة مؤمنة اسمها كوينتا⁽¹¹¹⁾ رفضت أن تمتثل للأوامر وأن تصلى أمام تمثال الإمبراطور فأوثقوا رجليها، وجروها في كل المدينة على الشوارع المرصوفة بالحجارة، ورضضوا جسمها فوق حجارة الطاحون، وفي نفس الوقت جلدوها، وبعد ذلك رجموها حتى فاضت روحها⁽¹¹²⁾.

وهناك مثال آخر على تلك العذراء أبولونيا⁽¹¹³⁾؛ وهي سيدة متقدمة في السن بعد أن ألقي القبض عليها، ضربوها على فكها، فكسروا أسنانها، وأوقدوا نارا خارج المدينة هددوها بالحرق حية إن لم تشترك معهم في هتافاتهم الكفرية، وبعد صلاة قصيرة قفزت بحماسة إلى النار فاحترقت. وهذا يدل على مدى قوة إيمانها حيث أن كل هذا التعذيب لم يرددها عن إيمانها.

وبالإضافة إلى تلك الأمثلة فهناك شخص يدعى سراييون⁽¹¹⁴⁾ ألقى الجنود القبض عليه وعذبوه بقسوة ووحشية، وبعد أن كسروا كل أطرافه طرحوه من طابق

ومن أشهر الشهداء المسيحيين الذين قدموا موقفاً مثالياً في الثبات على إيمانهم، وهو يوليانوس⁽¹¹⁵⁾ والذي كان يشكو كثيراً من داء المفاصل حتى عجز عن الوقوف أو المشي. ثم حملوه على جمل، وفي هذا الوضع المرتفع تم ضربه، وأخيراً أحرق بالنار أمام عامة الناس.

ومن الأشخاص المشهود لهم بقوة إيمانهم وثباتهم شخص يُدعى مقار⁽¹¹⁶⁾ وهو ليبي المولد، فهو عندما رفض الرجوع عن إيمانه أحرق بالنار حياً. ومعه شخص آخر اسمه بيماخوس وأخر يُدعى الإسكندر وهما بقيا في القيود لمدة طويلة، وتحملا الأمل لا تحصى بالمقشطة⁽¹¹⁷⁾، والجلدات، ثم أحرقا في نار متلظية.

(111)Ibid., VI, 41.

(112) Ibid., VI, 41.

(113) Ibid., VI, 41.

(114) Ibid., VI, 41.

(115)Ibid., VI, 41.

(116) Ibid., VI, 41.

() وهي آلة كانت تمر فوق الجسم فتمزقه. راجع: داود مرقس، نفسه، ص

ويستكمل يوسيبوس حديثه في تقديم الأمثلة على طرق وأدوات التعذيب التي اتبعتها الأباطرة ضد المسيحيين فيقول:

"هناك آخرون كثيرون في المدن والقرى، مزقهم الوثنيون إرباً، سأحدث عن واحد فقط كممثل للباقيين. كان أسخيريون^(١١٨) يعمل كوكيل لأحد الحكام. ولما أمره رئيسه أن يذبح للأوثان رفض، فأهانته رئيسه، ولما ظل ثابتاً في رفضه أساء إليه. ولما استمر في ثباته أمسك عصا طويلة ودفعها في أحشائه وقتله.

ويستشهد يوسيبوس عن الحوادث والالام التي تعرض لها شهداء الإسكندرية بما كتبه فيلياس الشهيد^(١١٩)، والذي قام بوصف دقيق عن الاستشهادات التي حدثت في عصره في الإسكندرية، حيث يقول عن الشهداء: "وأية كلمات تستطيع وصف شجاعتهم وبسالتهم وسط كل تعذيب؟ وإذ أعطيت الحرية لكل من أراد الإساءة إليهم كان البعض يضربونهم بالعصى، والآخرون بهراوات، والآخرون بجلدات، والبعض بكرابيح، وآخرون بحبال"^(١٢٠).

أما النظارة (يقصد من كانوا يقفون ويشاهدون مظاهر التعذيب من العامة) فقد اختلفت درجة هياجهم، والكل أظهروا سخطاً شديداً. وكان البعض يُشدون على الدهق^(١٢١)؛ وقد أوثقت أيديهم خلفهم، وكل عضو يشد بالة خاصة. بعد ذلك يؤمر الجنود بتمزيق كل أجسادهم بالات التعذيب، ليس فقط جنبهم كما هو مع القنلة، بل أيضاً بطونهم وركبهم وخدودهم. والآخرون كانوا يُرفعون إلى فوق ويُعلقون من إحدى أيديهم، فيقاسون الأهوال المروعة وذلك بجذب أطرافهم ومفاصلهم. وغيرهم كانوا يوثقون إلى الأعمدة دون أن يستقروا على أقدامهم، بل كان تقل كل أجسادهم يعلق على القيود التي رُبطوا بها والتي كانوا يحكمون ربطها جيداً^(١٢٢).

كل هذه الالام قاسوها، لا في الفترة التي كان الحاكم يتحدث معهم فيها، بل طوال النهار. لأنه إن كان يجناز إلى غيرهم كان يترك الأولين لحراسته موظفين تحت سلطته، لكي يراقب إن كان أحدهم قد انقلب من التعذيب وبدت عليه علامات التسليم. ثم أنه كان يأمر بأن يوثقوا في سلاسل بلا رحمة، وعندما يصلون إلى النفس الأخير

(118) Eusebius, VI, 41.

() Ibid., VIII, 10؛ وكان فيلياس له شهرة عظيمة في العلوم العالمية.

(120) Ibid., VIII, 10.

() Ibid., VIII, 10؛ والدهق هو خشبتان فيهما ثقب يقط بهما على ساقى المذنب. داود مرقس، نفسه، ص

(122) Ibid., VIII, 10.

انوا يطرحون على الأرض ويخرجون خارجاً^(١٠٠). لأنه أمر بأن لا توجه إلينا (يقصد المسيحيون) أية عناية قط، بل كانوا يفكرون ويتصرفون كأنه لا وجود لنا بعد. وهكذا اخترع أعداؤنا هذا النوع من التعذيب علاوة على الجلد^(١٠١).

وبعد هذه الثورات كان يوضع البعض على الدهق، وتمد قدما الواحد في الثقوب الأربعة حتى يضطر للرقاد على ظهره فوق الدهق، وهو عاجز عن الانتصاب بسبب الجروح الجديدة التي غطت كل جسده نتيجة الجلد. والآخرين كانوا يلقون على الأرض فينالون أقصى أنواع التعذيب، فيرى المتفرجون مظاهر قسوة أشد هولاً، إذ كانوا يحملون في أجسادهم علامات التعذيب المختلفة التي اخترعوها^(١٠٢).

ويذكر يوسيبوس طرقاً أخرى من التعذيب اتبعتها الجنود الرومان ضد المسيحيين فيقول: "وتحمل الآخرون على بطونهم وأعضائهم السرية تعذيبات مخجلة قاسية لا يمكن ذكرها اخترعها القضاة كمظاهر للحكمة، وهي لم تظهر إلا قسوتهم. ثم إنهم كانوا بصفة مستمرة يبتدعون أنواعاً جديدة من التعذيب، كأنهم كانوا يحاولون ربح جوائز في السباق بمنافستهم بعضهم لبعض^(١٠٣)".

كذلك من الأدوات التي كانت تستخدم في التعذيب هي الفأس والتي كانت تستخدم في القتل وآخرون كانت تشوه أجسادهم بقطع أنوفهم وأذانهم وأيديهم، ثم نقطب أعضاء جسمهم إرباً وكان من الطرق الجديدة التي استعملها الرومان في التعذيب هي الماء، وضرب مثلاً على ذلك التعذيب الذي تعرض له أخو يوسيبوس في الإسكندرية وذلك لأن الإسكندرية كانت تطل على البحر لذلك استعملوا الماء كأحد طرق ووسائل التعذيب والإعدام فقد كان هؤلاء الجنود يدفنون الأشخاص أحياء ثم يلقون بهم في البحر بعد أن يربطوا أحجاراً ثقيلة حول أعناقهم^(١٠٤).

(١٠٠) Ibid., VIII, 10 مل المسيحيون أشد أنواع التعذيب وفي النهاية كانوا يُسحبون للسجون.

راجع: Donald G. Kyle, op. cit., p. 249.

(١٠١) Ibid., VIII, 10؛ وعن أدوات التعذيب راجع: Donald G. Kyle, op. cit., p. 252.

(١٠٢) Ibid., VIII, 10؛ وبالإضافة لذلك فإن يوسيبوس يذكر أن المسيحيين كانوا يدخلون في حلبات المصارعة والمسارح والسيرك مع المصارعين والجلادين وهم كان يتم اختيارهم من العبيد المسجونين أو المحكوم عليهم من أسيادهم وغيرهم من العبيد. راجع:

Bauman, R. A.: Crime and Punishment in Ancient Rome, Routledge, London, 1996, pp. 122- 123.

(126) Eusebius, VIII, 12.

(127) Lactantius, De Mort Pers, 15. 3, Eusebius, VIII, 12, 4-5; Donald G. Kyle, op. cit., p. 252.

أما عن النساء فقد قدم مواقف مثالية في الثبات ضد التعذيب حتى يذكر يوسيبوس على لسان ديونيسيوس أن هناك أربع من النساء وهن أموناريوم⁽¹²⁸⁾، وهي عذراء عفيفة، عذبتها القاضى بلا هوادة ولا رحمة، لأنها حرصت منذ البداية على أن لا تتطق بأية كلمة مما أمرها به، وإذ بقيت أمينة لعهدا جروها خارجاً. والآخرى هي مركوريا، وهي امرأة مشهورة جداً متقدمة في السن، وديونيسيا، وكانت أمماً لأبناء كثيرين، لم تحب أبنائها أكثر من الرب. ولأن الوالى خجل من أن التعذيب كان بلا جدوى ولأن النساء كن دوماً ينتصرن عليه، فقد قتلن بالسيف دون محاولة التعذيب، لأن البطلة أموناريوم تحملت التعذيب عوضاً عن الجميع⁽¹²⁹⁾.

كذلك يذكر يوسيبوس مثلاً رائعاً عن امرأة محتشمة وأخرى عذراوات عندما رفضوا طاعة لأوامر حولها القاضى إلى قواد، وفضلت هذه المرأة أن تُعدم خوفاً من تهديد الجنود لها بالزنا والفسق⁽¹³⁰⁾.

وأخيراً يروى يوسيبوس قصة كتبها ديونيسيوس السكندرى فهو يحكى عن أشخاص أنهكهم العذاب ولكنهم بعد أن وافقوا على ترك عقيدتهم، ندموا وأرادوا التوبة ومن هؤلاء على سبيل المثال يقدم ديونيسيوس شخص اسمه سراييون⁽¹³¹⁾، وهو مؤمن متقدم في السن، عاش زمناً طويلاً بلا لوم، لكنه سقط في التجربة، ولقد توسل كثيراً، ولكن لم يلتفت إليه أحد لأنه ذبح للأوثان، فاعتراه مرض، وفقد النطق والوعى ثلاثة أيام متتالية، وإذ تحسنت صحته قليلاً في اليوم الرابع أرسل إلى ابن ابنته قائلاً: إلى تعوقوننى يا ابنى. أتوسل إليك أن تعجل وتحلوني بسرعة. ادع لى أحد القسوس. ولما قال هذا فقد النطق ثانية فركض الصبى إلى القس، وكان الوقت ليلاً، والقس مريضاً، فلم يقدر أن يأتى. ولأننى كنت قد أمرت بأن الأشخاص الذين على حافة الموت يجب أن تعطى لهم المغفرة إن طلبوها، سيما إن كانوا قد طلبوها من قبل، لذلك أعطى الصبى جزءاً صغيراً من سر الأفخارسيثا، وقال له أن يغمسه ويدع النقط تسقط في فم الرجل الشيخ⁽¹³²⁾.

فعاد به الصبى، وإذ اقترب، وكان لم يدخل بعد، تحرك سراييون ثانية وقال: لقد أتيت يا بنى ولم يقدر القس أن يأتى. ولكن افعل بسرعة ما أمرك به ودعنى انطلق. عندئذ غمسه الصبى وجعل النقط تسقط في فمه. وإذ بلع قليلاً أسلم الروح في الحال.

(128) Eusebius, VI, 41.

(129) Ibid., VI, 41.

(130) Donald G. Kyle, op. cit., p. 252; Ibid., VIII, 5.

(131) Ibid., VI, 44.

(132) Ibid., VI, 44.

وهنا يتساءل ديونيسوس قائلاً: "ليس واضحاً أنه قد بقي حياً حتى نال الحل. وإذا مسحت خطيته أمكن الاعتراف به بسبب الأعمال الصالحة الكثيرة التي فعلها؟" (١٣٣). ومن هنا يمكن أن نستنتج من كلام يوسيبوس أن المؤمنين المسيحيين مهما اشتد عليهم التعذيب (١٣٤) واضطروا إلى الاعتراف بترك عقيدتهم – على أن هناك التماس آخر حيث أن مَنْ ارتد عن عقيدته كان شيخاً كبيراً في السن ولم يتحمل التعذيب الشديد – ولكنهم على الرغم من ذلك وفي النهاية فإنهم لا يقبلون أن يموتوا قبل أن يستغفروا ويُشهدوا الناس على ذلك، ويعودوا إلى إيمانهم مرة أخرى حتى يموتوا وهم على دينهم.

ومن جانب آخر فإن ذلك يدل على مدى سماحة الدين المسيحي الذي يقبل توبة التائبين والمرتدين عن عقيدتهم ويغفر لهم ويدخلهم في الدين مرة أخرى. وفي النهاية فإن ديونيسوس يُجمل قوله عن التعذيب والاضطهاد الذي تعرض له المسيحيون قائلاً: نظراً لأن شعبنا كثيرون وغير معروفين لكما، فمن باب تحصيل الحاصل أن أذكر أسماءهم ولكن أعلم أن الرجال والنساء، الصغار والكبار، الخادمت والسيدات، الجند والمدنيين، من كل جنس وعمر، انتصروا في جهادهم ونالوا أكاليلهم، البعض بالجلد والنار، والآخرين بالسيف (١٣٥).

(133) Ibid., VI, 44.

() وقد بلغت قسوة التعذيب لدرجة أن جنود الإمبراطور كانوا يضعون المسيحيون على مقاعد حديدية ساخنة حتى يشوون لحومهم، وكان ينفرج عليهم الجماهير، وهم يتلقون أشد ألوان العذاب طوال اليوم، ثم بعد ذلك يشنقون ويتركون للحيوانات المفترسة لتأكلهم. راجع:

Donald G. Kyle, op. cit., p. 249.

() Eusebius, VII, 11؛ وبعد الانتهاء من كل هذه الطرق كانوا يُلقون للوحوش الضارية أمثال الدببة والنمور والخنازير البرية، ولكن ما يدعو للدهشة هو أن تلك الوحوش لم تكن تقترب من هؤلاء المسيحيين. راجع: Wiedemann T.: Emperors and Gladiators, Routledge, London, 1992, p. 89; Donald G. Kyle, op. cit., p. 186; Earle E. Coirns, op. cit., p. 92.

الخاتمة

في النهاية يتضح الهدف من هذا البحث، وهو إظهار الحوادث والاضطهادات التي تعرضت لها العقيدة المسيحية في الإسكندرية، وبخاصة كنيستها والتي لاقى أتباعها أشد أنواع التعذيب وأقساها من جنود الأباطرة الرومان.

فقد أقام الأباطرة الرومان حملة اضطهاد عنيفة ضد العقيدة المسيحية في جميع أنحاء الإمبراطورية وبوجه خاص في الإسكندرية، وهو ما أشرت إليه في المحور (العنصر الأول) حينما تحدثت عن الأباطرة الرومان الذين تم في عهدهم اضطهاد المسيحية في الإسكندرية، وكان من أول هؤلاء الأباطرة هو الإمبراطور سيفيروس الإسكندر والذي أثار جنوده الرعب في مدينة الإسكندرية محاولين أن يردوا هؤلاء المسيحيين عن إيمانهم، وتبعه في هذا المجال الإمبراطور دقيوس الذي أقام جنوده المذابح في الميادين العامة وحاولوا بشتى الطرق أن يغيروا إيمان أتباع هذه العقيدة (المسيحية) ومن بعده الإمبراطور فاليريانوس وتوصلت من خلال هذا العنصر أن كل هؤلاء الأباطرة كان هناك هدف واحد يجمعهم من وراء هذا الاضطهاد للمسيحية وأتباعها وهو خوفهم من انتشار المسيحية وزيادة إتباعها في جميع أنحاء الإمبراطورية وهو ما كان يهدد — من وجهة نظرهم — السياسة العامة للإمبراطورية من ناحية وعبادة الإمبراطور من ناحية أخرى.

أما عن العنصر (المحور) الثاني فقد ظهر من خلاله أن الاضطهاد الذي قام به الأباطرة شمل كافة فئات المواطنين فهو لم يفرق بين جنسية أو جنسية بمعنى أنه شمل الرجل والمرأة، المسن والشاب، حتى وصل إلى الأطفال في بعض الأحيان، كما انه لم يميز بين رجال الدين (النساك) والمواطنين العاديين البسطاء، وما توصلت له من هذا العنصر هو أنه على الرغم من قسوة التعذيب وشدته إلا أن كل المسيحيين على كافة أجناسهم وجنسياتهم تجمعوا على موقف واحد وهو الثبات على إيمانهم ضد هذا التعذيب حيث أن هذا التعذيب، حسبما يذكر يوسيبوس، لم يستطع أن يحيدهم عن إيمانهم حتى من كان يضعف منهم لسبب ما بسبب مرض أو كبر في السن وكان يضطر للاعتراف برجوعه عن إيمانه حتى يتوقف التعذيب، فسرعان ما كان يستغفر عن فعلته ويعود إلى إيمانه مرة أخرى ويموت على دينه.

أما العنصر (المحور) الثالث، فقد تعرضت فيه لوسائل وأدوات التعذيب التي كان الأباطرة وجنودهم يمارسونها مع هؤلاء المسيحيين بل إن الأباطرة لم يكتفوا بإتباع الطرق التقليدية في التعذيب وإنما كانوا يخترعون طرقاً ووسائل أخرى في التعذيب أشد قسوة من الطرق العادية، حتى يُجبروهم (المسيحيين) على ترك عقيدتهم وينذروهم بالمصير الذي سيلاقونه (سيتعرضون له) إذا لم يرتدوا عن دينهم، فكانوا يعذبونهم بالحرق أو بالجلد أو بالسيف أو بالماء حيث كانوا يربطونهم بأحجار ثقيلة ويلقون بهم

في البحر. ولكن في مقابل كل هذا التعذيب كان المسيحيون يصمدون أمامه، وهو ما توصلت له من خلال هذا العنصر. بل وكان يزداد أعدادهم ويزداد انتشار المسيحية كلما ازداد ضغط الأباطرة واضطهادهم لهم، حتى اضطر الأباطرة التالين إلى إتباع سياسة أخرى غير الاضطهاد والتعذيب وهي سياسة التسامح معهم ومحاولة التعايش سوياً في سلام، وذلك لأن أحوال الأباطرة ساءت وتعرضت للكثير من الهجمات البربرية على حدودها فاضطرت أن تتبع سياسة السلام في داخل الإمبراطورية حتى تستطيع مواجهة الأخطار الخارجية التي كانت الإمبراطورية قد بدأت تتعرض لها.

قائمة بالمصادر:

- الكتاب المقدس (العهد القديم والجديد).
- Eusebius: Historia Ecclesiastica, L.C.L. (translated by: Kirsop Lake)
- Lactantius: De Mortibus persecutorum, (ed. and translation by: J. L. Creed, Oxford Early Christian Texts, Oxford: Clarendon Press, 1984.

مراجع باللغة العربية:

- مرقس داود، تاريخ الكنيسة، مكتبة المحبة، ط 1.
- منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، بدون تاريخ.

مراجع بلغة أجنبية:

- Bauman, R. A., Crime and Punishment in Ancient Rome, Routledge, London, 1996.
- Christopher S. Mackay, Ancient Rome (A Military and Political history), Cambridge University Press, 2007.
- Confield, Leon hardy, The Early Persecutions of the Christians, (Columbia University Press, New York, 2005).
- Donald G. Kyle, Spectacles of Death in Ancient Rome, London and New York, 2001.

- Earle E. Coirns, Christianity Through the Centuries: A History of the Christian Church, Zondervon Publishing, 1996.
- Flavius Josephus, The New Complete Works of Josephus, (translation by: William Whiston), Kregel Publications, 1999.
- Jonathan Harris, Byzantine History, Polgrave Macmillan, 2005.
- Marcel Le Glay, A History of Rome, 3ed., Blackwell Publishing LTD., 2005.
- Michael Grant, The Roman Emperors (A biographical Guide to the Rulers of Imperial Rome (31 B. C.- A. D. 476), Phoenix Press, London, 1997.
- Pat. Southern, The Roman Empire from Severus to Constantine, Routledge, London, 2001.
- Paul L. Maier, Eusebius, Eusebius Pamphill, Kregel Publications, 1999.
- Plass, P., The Game of Death in Ancient Rome: Arena Sport and Political Suicide, University of Wisconsin, Madison ,1995.
- Robert Turcan, Antonina Nevill, The Cults of the Roman Empire, Blackwell Publishing, 1996.
- Sarah Lles Johnston, Religions of the Ancient World,Harvard University Press, London,2004.
- Wiedmann T.,Emperors and Gladiators,Routledge,London,1992.